المشرق

مدرسة عين طورا

نبذة تاريخية في اصلها لاحد افاضل الاباء المازريين

١

عين طورا لفظة مشتقة من السريانية « ڥ ڠ ڐ ڝ ڐ » معناها عين الجبل. وهي اسم لقرية في كسروان موقعها بين هضاب جميلة المنظر تكللها اشجار الصنوبر الباسقة تبعد عن البحر نحو ساعة شرقاً وعن بكركي مقام البطريركية المارونية الجليلة نحو نصف ساعة جنوباً. وفيها عينٌ عَذُبَ ماؤها وسلس حتى سُمِّيت بعين الجبل ومنها اخذت اسمها كما مر بك. تربتها مخصبة وهواؤها طيب. واغراسها التوت والزيتون وبعض الاشجار المثمرة كالبرتقان والتين والمشمش واللوز والاجاص والتفاح وغيرها. وعدد سكانها يبلغ المائتين تقريباً. وفيها تلك المدرسة الشهيرة العريقة بالقدم ألا وهي مدرسة عين طورا التي يدير شؤونها كهنة جمعيّة الرسالة المعروفة بالمازريين منذ نحو سبعين سنة. والتي خرج منها عددٌ ليس بقليل من مشاهير الرجال الذين خدموا الدين والعلم والوطن احسن خدمة وسنأتي فيما بعد بذكر اسماء الاكثر شهرةً منهم. فعلى هذه المدرسة اذاً يكون مدار كلامنا هنا فنقول:

ان مدرسة عين طورا هذه كانت بادئ بدء ديراً للآباء اليسوعيين الافاضل بناهُ سنة ١٦٥٢ الاب لمبرت (Lambert) اليسوعي والشيخ ابو نوفل الخازن الذي كان حاكماً وقتئذٍ على تلك النواحي. فالاب لمبرت هذا كان اصلهُ من مدينة مرسيلية وكان قبل انتظامهِ في سلك جمعية يسوع الموقّرة قدم مدينة صيداء ليتّجر فيها. وكان رجلاً تقيًّا ورعاً فاضلاً يضاهي بايمانهِ الحيّ وقداسة سيرتهِ المسيحيين الاولين. وكان للاباء

اليسوعيين يومئذٍ ديرٌ في تلك المدينة قد اقاموا فيه احدى الاخويّات التقويّة لافادة المؤمنين. فلمّا درى لَبرت بذلك تاق الى الدخول في تلك الاخويّة فقُبل بين اعضائها وكان مثالا صالحاً للجميع

وبعد ذلك بقليل علم لَبرت ان بعضاً من المرسلين عزموا على تأسيس رسالةٍ في اصبهان عاصمة بلاد العجم. فشعر بنفسه انّ الله يدعوهُ لمساعدتهم في ذلك المشروع الخيريّ الآئل لخلاص النفوس ولامتداد ملك المسيح بين تلك الشعوب. فكاشف بذلك اناساً اتقياء افاضل كان يثق بهم كلّ الثقة. فاشاروا عليه باتّباع هذا الالهام الالهيّ. فهمَّ لساعته بالسفر وركب البحر قاصداً بلاد العجم لكن العناية الربّانيّة التي احكامها غير احكام البشر ومقاصدها غير مقاصدهم قادتهُ بظروف وحوادث شتى الى شاطئ بلاد الهند الشرقيّة بالقرب من مدينة مَليابور المعروفة بمدينة القديس توما لاستشهاد هذا الرسول فيها كما روى البعض. وهناك بينما كان يناجيه تعالى في صلواته على قبر هذا الرسول المتقدّم ذكرهُ بتلك الكلمات عينها التي فاه بها الاباء المصطفى وهي: يا ربُّ ماذا تريد ان اصنع. سمع بصوت باطني يقول لهُ: أن ادخلْ جميّة يسوع. وبعد ان استشار احد الرهبان الاغوسطينيين الافاضل ذهب الى رومية وطلب من الرئيس العام على الرهبانية اليسوعية الجليلة الدخول في رهبانيّته فاجاب الى سؤله

وبعد ان أكمل لَبرت مدّة الامتحانات المعهودة واتمّ دروسهُ الكهنوتية رقي الى الدرجات المقدسة. فارسلهُ رؤساؤهُ مع اثنين من اخوته الرهبان الى البلاد السوريّة لمعرفته اللغة العربيّة اذ كان تاجرًا في صيداء قبل دخوله الرهبانيّة كما سبق القول. فابحر من ثمّ مع رفيقيه قاصدين صيداء او طرابلس حسب الظروف. ولكن بعناية من الله دهمتهم زوبعة شديدة قذفت مركبهم الى خليج جونية. امّا سكّان تلك البلدة فعند رؤيتهم هذا المركب راسياً في مياههم على خلاف العادة اذ لم يكن لجونية ميناء في تلك الايام ظنّوهُ لبعض القرصان فاسرعوا بالقبض على المرسلين ومن معهم واقتادوهم الى الشيخ ابي نوفل الحازن لانهُ كان حاكماً على تلك النواحي كما سبق الكلام. وكان ابو نوفل هذا من مشاهير الطائفة المارونيّة وكبارها ومن افاضل رجالها. وكان مثالاً للخير والتقوى ذا رأيٍ صائب وذكاء عجيب وحكمة ودراية غريبتين. وقصارى القول انهُ كان من الرجال الذين يؤدّون ما لقيصر لقيصر وما لله لله. وكفانا به مدحاً ان الملك

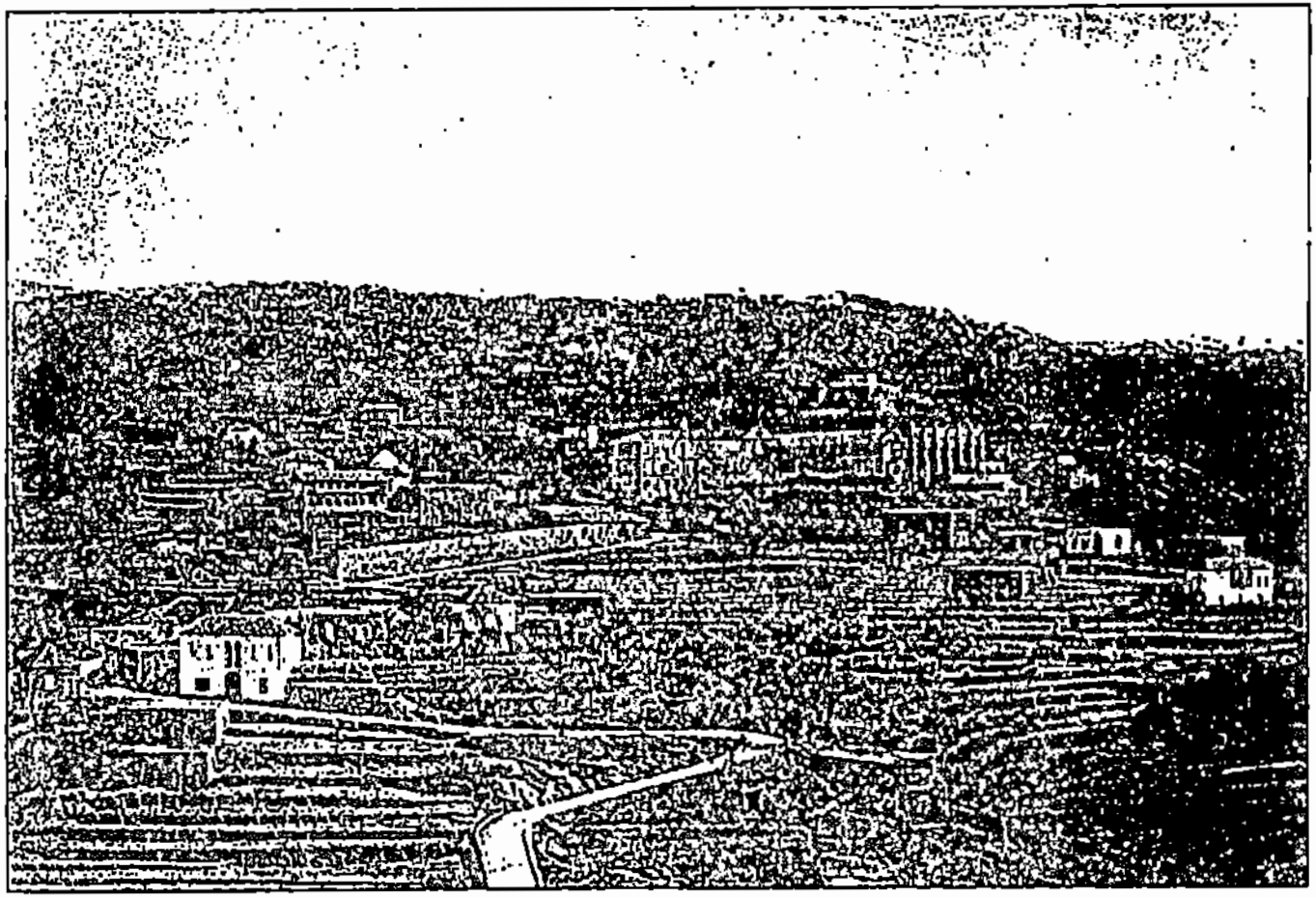

قرية عين طورا ومدرسة الآباء الفازريين الاجلاء.

لويس الرابع عشر قد قلّدهُ وتبة القنصليَّة لدولته الفخيمة في هذه الديار (١. فلمَّا رأى الشيخ هؤلاء المرسلين واطَّلع على اوراقهم علم انهم من الرهبانية اليسوعية الجليلة آتين للتبشير في هذه الديار السوريَّة. فاحسن استقبالهم واجلَّ مثواهم واترلهم بداره على الرحب والسعة وغاية الاكرام والتجلَّة كما يليق بكهنة المسيح. والحَّ عليهم بالمكث في تلك الناحية للانذار والتبشير بين طائفته وقدَّم لهم قطعة ارض من ارزاقه في عين طورا وبنى لهم فيها من ماله الخاصّ ديرًا للسكن وكنيسة لاقامة الصلوات واعطاهم بستانًا محاذيًا للدير المذكور. وبجمل القول انهُ أمدَّهم بكلّ ما يلزم لمعيشتهم ليتمكَّنوا من اتمام واجباتهم (٢ والانذار بكلمة الله

فانطلقت ألسن هؤلاء الرهبان الافاضل بالشكر والثناء على هذا الرجل المحسن والمسيحي الفاضل. ومن ثمَّ ارسل الاب لمبرت كتابةً الى رئيس الاباء اليسوعيين في صيداء يخبرهُ فيها بما جرى لهم بتدبير الله ويثني على همة وكرم الشيخ ابي نوفل طالبًا منهُ المصادقة على مشروعهم الجديد ليكون دير عين طورا معدودًا بين اديار الرهبانيَّة. فاسرع الرئيس المذكور بتلبية طلب الاب لمبرت وسعى لدى الرؤساء باقامته رئيسًا على الدير المقدم ذكرهُ شاكرًا الله على ما اتاح لهم من آلائه ومنحه ومطنبًا في مديح الشيخ ابي نوفل. ومنذ ذلك الحين اصبح دير عين طورا مظهرًا لاعمال بني اغناطيوس الخطيرة ومجالاً لغيرتهم الرسوليَّة التي يحفظ لها لبناننا عمومًا وعين طورا و جوارها خصوصًا ذكرًا حميدًا مدى الدهر (٣

---

١) راجع تاريخ الطائفة المارونية للدويهي ص ٢٢٢–٢٢٥

٢) راجع مجموع رسالات المرسلين اليسوعيين (Lettres édifiantes, *Paris*, 1708)

٣) وبني دير عين طورا كمنام للرهبان اليسوعيين يسكنهُ ثلاثة من رهبانهم يتفرَّغون فيها لاعمال الرسالة. ولمَّا كانت سنة ١٧٢٨ اوقف بعض المحسنين من الموارنة اوقافًا على دير عين طورا وطلبوا الى رئيس الرهبانية اليسوعيَّة العام في رومية الاب ميخائيل غبوريني ان تُقام في الدير المذكور مدرسة لتهذيب بعض الاحداث ممَّن يؤمل ترشيحهم يومًا لدرجة الكهنوت. فلبى الرئيس المذكور دعاءهم ورأس الاب انطون مارتًا ناظر الماروني اليسوعي على المدرسة المذكورة. ثمَّ بعد قليل زادت الحسنات وتوفَّرت الاحباس على هذه المدرسة لاسيما بصنَّة اكبر المحسنين اليها المطران بطرس مبارك الذي تخلى بعدئذٍ عن الاسقفية وانتظم في سلك الرهبان اليسوعيين. فرأى الاب فرنسيس رتز (Retz) رئيس الرهبانية اليسوعيَّة العام ان يوسّع نطاقها فاثبتها ثانيةً في ٢٧ شباط سنة ١٧٣٦ وجعلها على مقتضى نيَّات المحسنين مدرسة اكليريكية للموارنة والاقباط والكلدان

وليس فقط ذلك بل اصبح هذا الدير مقاماً يؤمّهُ الرهبان اليسوعيون لترويح النفس من اتعاب الكرز والتبشير لطيب مناخهِ وعزلتهِ وانفرادهِ عن ضوضاء العالم كما انهُ صار محطاً للسيّاح والرحّالة الذين كانوا يأتون من المغرب للتنقيب عن عوائد الشرق والتفتيش على آثارهِ القديمة. نخصُّ بالذكر منهم الاب بسُّون مؤلف كتاب سورية المقدّسة (La Syrie Sainte) وتوله ولامارتين والسيد ميلان (M^gr Mislin) وڤيكتور جيران (Guérin). وبعد الاب لبرت توالت الرؤساء على هذا الدير وقد اشتهر منهم الاب فروماج اليسوعي الشهير صاحب التآليف العديدة وهو الذي حضر المجمع اللبناني (١ المنعقد في ٢٨ ايلول سنة ١٧٣٦ والمنتهي في ٣ تشرين الاول من السنة عينها وذلك في دير اللويزة للرهبانيّة الحلبية المارونية تحت رئاسة ذي الاصل والشرف والشهرة السيد يوسف السمعاني حارس المكتبة الڤاتيكانية المرسل من قبل الكرسي الرسولي المقدّس لرئاسة المجمع المنوَّه بهِ

٢

ولمّا صدر امر البابا اكليمس الرابع عشر بالغاء الرهبانيّة اليسوعيّة ألغيت لاسباب سياسيّة لا حاجة لايرادها الآن وكان ذلك في ٢١ تموز سنة ١٧٧٣ لكن الامر لم ينتهِ ولم يتمّ انفاذهُ في الشرق الّا في سنة ١٧٧٦ فالحّ المسيو دڤرجار (Devergères) وقتئذٍ سفير فرنسا لدى الباب العالي ومن بعدهِ خليفتهُ الكونت دي سان بريست (Le Comte de S^t Priest) على الملك لويس السادس عشر لكي يطلب من رومية مرسلين افرنسيين ليخلفوا اليسوعيين في الشرق محافظة على العلاقات التي تربط الفرنسيين مع السوريّين وحبّاً بدوام الاتحاد فيما بينهم. فصدر الامر حينئذٍ من لدن الكرسي

يشرط ان يكون ثلاثة ارباع التلامذة من الموارنة. وفي السنة التالية ١٠ ك ١ ١٧٣٥ انشأ الاب جرجس بنيامين اليسوعي (وكان سابقاً مطراناً على اهدن) مدرسة أخرى في زغرتا سلّم ايضاً تدبيرها الى الاباء اليسوعيين. وبقيت كلتا المدرستين تحت نظارة الاباء اليسوعيين الى سنة الغاء الرهبنة ١٧٧٣ (المشرق)

١) والاب بطرس فروماج المذكور هو الذي خطب في افتتاح المجمع اللبناني وقد أثبتت خطبتهُ في اعمال المجمع باللاتينية. وكان وقتئذٍ رئيساً عاماً على رسالة الرهبانية اليسوعيّة في سوريّة. ولهُ مآثر عديدة مشهورة منها تعريبهُ ليتّف وثلاثين كتاباً طُبع كثيرٌ منها في مطبعتي الشوَير وروميّة وفي مطبعتنا الكاثوليكيّة (المشرق)

الرسولي بناء على طلب الملك لويس السادس عشر الى الاب جاكيه (Jacquier) الرئيس العام يومئذٍ على جمعيَّة الرسالة المعروفة باللازاريَّة المؤسسة من القديس منصور دي پول باجابة رغبة الملك لويس. فأبى الاب جاكيه القبول مرارًا لكنَّهُ رضخ اخيرًا لامر قداسة البابا وعظمة الملك متيقِّنًا ان هنـاك ارادة الله وارسل للحال الاب ڤيكيه (Viguier) الذي كان في تلك الايام نائبًا رسوليًّا في الجزائر الى سوريَّة لكي يفحص عن الاديار التي كانت للاباء اليسوعيين وينظر في ما يجب فعلهُ

وبعد الفحص والاستعلام الكافيين رجع الاب ڤيچيه المذكور الى باريس واعلم الرئيس العامّ بما رأى والرئيس العام اطلع وزير البحريَّة على كلّ ما اخبرهُ عنهُ الاب ڤيكيه وبعد المداولة الطويلة بين وزير البحريَّة هـذا وبين الملك لويس السادس عشر والكرسيّ الرسولي قرَّ القرار على تسليم الاديار التي كانت تخصّ الاباء اليسوعيين في سوريَّة الى الآباء اللازاريين فاصدر للحال البابا بيوس السادس براءة رسوليَّة مؤرخة في ٢٢ تشرين الثاني من سنة ١٧٨٢ بها يقيم اللازاريين خلفاء لليسوعيين في المشرق. لكنهُ لسبب الثورة التي حدثت بعد ذلك بقليل لم يتمكَّن الرئيس العام على جمعيَّة الرسالة من ارسال عددٍ كافٍ من المرسلين الى الشرق فارسل سبعة عشر مرسلًا فقط تحت تدبير الاب ڤيكيه الذي سبق لنا الكلام عنهُ

فتفرَّق هؤلاء المرسلون الى رسالات شتى ونالت سوريَّة منهم حظّهـا الطيب. اما عين طورا فاتاها الاب كورديه (Cordier) مع اثنين من اخوته المرسلين واقاموا فيها. وكان هذا الدير وقتئذٍ يكفي لسكنى اربعة او خمسة من الرهبان على الكثير. اما الكنيسة التي كانت ولم تزل على اسم القديس يوسف البتول فتسع سبعين او ثمانين شخصاً. وهي متينة الجدران بعارها في الوسط قبة كبيرة مستديرة فوقها صليبٌ. والهيكل الكبير يوجد تحت العقد من جهة الشرق. وفيها هيكل مكرَّس للبتول القديسة تحت العقد من جهة الجنوب. وبالقرب منهُ قبرٌ صغيرٌ تحت الارض لدفن موتى الرهبانيَّة اليسوعيَّة وفيهِ دُفن ايضًا المرسلون اللعازريُّون الذين سكنوا عين طورا منذ عهد الاب رنار (Renard) والسيد كُندلفي (Gondolfi) اللذين سيأتي الكلام عنهما الى الاخ كلاره (Claret) الذي تُوفيَ في ٤ كانون الاول من السنة المنصرمة. ولم تبقَ الكنيسة المذكورة على ما كانت عليهِ تمامًا بل أُحدث فيها بعض التغيير اذ أُقيم بازاء هيكل العذراء اي

جهة الشمال عقد آخر أُضيف اليها وجُعل تحتهُ هيكل لقلب يسوع الاقدس ثمّ استُدل هذا الهيكل وصار في اوائل السنة الماضية للقديس منصور مؤسّس جمعيّتي كهنة الرسالة واخوات المحبة. وبالقرب منهُ أُقيم اخيرًا من جهة الغرب معبدٌ لاخويّة تراع مخاضنا يسوع المسيح التي شُيدت حديثًا في اواسط هذا الشهر في الكنيسة المتقدّم ذكرها لسكّان قرية عين طورا. واما الدير فيوجد بجذاء الكنيسة من جهة الغرب وهو طابقان طابق سفليّ وفيهِ بيت الاكل وبيت المؤانة الخ. وطابق علويّ ويحتوي على اربع قلالي لسكنى الرهبان وكل ذلك محفوظ الى ايامنا هذه كذكر ثمنين من الآباء اليسوعيين الاجلاء. والقلالي التي كان يسكنها ابناء القديس اغناطيوس يقطنها اليوم ابناء القديس منصور دي پول

(ستأتي البقيّة)

الصابئة او المندائية

لحضرة اللغوي البارع الاب انستاس الكرملي

اذا اخذ احد الادباء يبحث عن هذه الديانة واصحابها. وتصفّح لهذه الغاية كتب المتأخرين والمتقدّمين على اختلاف مشاربها واحزابها. وقابل ذلك بما هو مشهور عن الصابئة في هذه الايام. سمع أقوالًا متناقضة في النحوي وفي الكلام. اذ كل واحد من الكتبة. يكذّب من سبقهُ. لا بل وكل من ناصبهُ. ويدّعي لنفسهِ الهداية. وينسب لغيرهِ الغواية. فيرجع القارئ اخيب من القابض على الماء. محتقرًا المؤرخين ومدوّني الاخبار والأنباء. لانهم لا يتثبّتون الحقائق. قبل ايداعها المهارق. ويُقيّدون كلّ ما سرّ مخيالهم. او خطر على بالهم

اما الحقيقة فهي على خلاف ما يتصوّرها هذا الباحث المتبين. عن أقوال الاولين والآخرين. بل في الاطّلاع عليها وجمعها فوائد عديدة. وعوائد فريدة. تدلّ على انتقال هذه الديانة انتقالةً بعد انتقالة. من حالةٍ الى حالة. على توالي الدهور. وتراخي ستور العصور. اذ ان هؤلاء الكتبة دوّنوا ما علموهُ عن الصابئة في عهدهم. واعتمدوا على ما رأوا او سمعوا منذ وجودهم في مهدهم. فخُيّل الى المتأخر الكذب والاختلاق. في من سبقهُ من كتبة الآفاق. وقد بحثنا عن هذه الأمة وديانتها. وعشنا بين اصحابها وكهنتها.